مجلة المنهل-المجلد: 08، العدد: 02 (2022م)-ص ص 215 - 232
ISSN :2437 - 1068 •EISSN8392-2710

مَلامِحُ التَفْسِيرِ البَيَانِيّ لِلْقُرآنِ الكَرِيمِ وَآليَاته عِندَ فَاضِلِ السَّامُرَائِيّ فِي كِتَابِه "عَلَى طَرِيقِ التَفْسِيرِ البَيَانِيّ"

Features of rhetorical interpretation of the Holy Qur'an and its mechanisms . A study in the book "ON THE PATH OF RHETORICAL INTERPRETATION" by Fadel Al-Samarrai

سليم عواريب (*)
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف
ميلة (الجزائر)
salim302014@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2022/02/08	2022/09/14	2023/01/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

تندرج هذه الورقة البحثيّة ضمن نظريّة التفسير، التي تتيح للباحث مجالاً فسيحاً لاستنطاق النصّ القرآني، والتعويل على اصطفاء نوع من أنواع التفسير، كالتفسير البيانيّ مثلاً، و الاتّكاء على معايير وقواعد من شأنها أن تساعد المفسّر على فهم النصّ، ومن ثمّة الوصول إلى المعنى المراد، والظفر بتفسير موضوعيّ للنصّ القرآنيّ، من هنا انبثق منهج فاضل السامرائي في التفسير القرآنيّ، الذي ينطلق من تضافر علوم اللغة وأصولها، بغية بيان أسرار التعبير القرآنيّ، واستهداف المعنى الذي يعتقد المفسّر أنّه هو المراد، ولقد عُنِيَ فاضل السامرائي بهذا الملمح في كتابه على طريق التفسير البيانيّ.

وبناءً على ذلك يَهدُفُ هذا البحث إلى بيان ملامح التفسير البيانيّ للقرآن الكريم عند فاضل السامرائيّ والكشف عن المرجعيات والقواعد التي اعتمدها فاضل في تفسيره، وكذا عرض نماذج من التفسير البيانيّ في آيات بيّنات.

من هنا توصّلنا بَعدَ الاستدلالِ والبرهنةِ إلى نتائجَ منها: أنّ التفسير الذي استحكم في العصر الحديث هو التفسير الأدبيّ أو التفسير البيانيّ، وممّن اشتهروا به السيد قطب، ومحمد المبارك، وأمين الخولي وعائشة بنت الشاطئ، ومِنْ بعدهم فاضل السامرائيّ، الذي استند في تفسيره على آليات مكّنته من التصدّي لهذا النوع من التفسير، منها تبحّره في علوم اللّغة وعلوم القرآن، واطّلاعه على ما أفاده المفسّرون القدامى، ثمّ الموهبة والملكة، وكذا اعتماده على آليّة المقارنة بين المتشابه اللفظيّ.

الكلمات المفتاحية: الملامح؛ التفسير ؛ البيان؛ القرآن ؛ فاضل السامرائي.

(*) المؤلف المراسل.

Abstract:
This paper is among the interpretation theory،that gives to the researcher wide field to seek in the Qur'anic text, and to rely on selecting a type of interpretation such as the rhetoric interpretation and rely on some criterion and rules that would help the exegete understand the text . As well as to reache the target meaning and obtain an objective interpretation of the Qur'anic text .In this behalf , the approach of Fadel al-Samarrai emerged in the Qur'anic interpretation, which arises from the combination of linguistic sciences and its origins, in order to explain the secrets of Qur'anic expression, and to target the meaning that the exegete believes that it is intended.And this is what Fadel al-Samarrai was concerned with in his book "ON THE PATH OF RHETORIC INTERPRETATION.

Accordingly, this research aims to clarify the features of the rhetoric interpretation of the Holy Qur'an at Fadel Al-Samarrai's theory ,to reveal the references and rules adopted by him in his interpretation, as well as to present models of the rhetoric interpretation in clear verses. So, this paper ends with some results as well :
The interpretation that prevailed in the modern era is the literary interpretation or the rhetoric interpretation. And among the pillars of this field are (Sayyid Qutb, Muhammad al-Mubarak, Amin al-Khouli and Aisha bint al-Shati).Then Fadel al-Samarrai emerged with his interpretation on the mechanisms that enabled him to confront this kind of interpretation. Including his immersion in the sciences of language and the sciences of the Qur'an and his knowledge of what the ancient exegetes had benefited from, then his talent and ability, as well as his reliance on the mechanism of analohgue comparison

Keywords: features; interpretation; rhetoric; The Quran ; Fadel Al-Samarrai.

1.مقدمة:

يُعنى هذا البحث بتقديم إطار معرفيّ نسبيّ، تشكل موضوعاته أرضيّة لأبحاث أخر، تهتم بقضايا التفسير القرآني منذ القرن الثاني للهجرة، حينما تصدى جمع من المفسرين لشرح كتاب الله وتدبره، كتفسير جامع البيان في تفسير القرآن وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، وهو ما أطلق عليه العلماء اصطلاح التفسير بالمأثور، ثمّ توالت في القرون التالية تفسيرات كثيرة، كالتفسير بالرأي عند الفخر الرازي والبيضاوي وأبي حيان الأندلسي، ثم برز نوع آخر وهو التفسير الصوفي أو الرمزي، الذي يفسر القرآن بالاعتماد على الفيوضات أو الإلهامات بعيداً عن تحمّلات الألفاظ، ثمّ شاعت هناك تفسيرات أُخر، كالتفسير الفلسفي عند الغزالي، والتفسير الفقهي كتفسير ابن العربي والقرطبي كذلك، ثمّ التفسير العلمي عند الإمام الغزالي في الإحياء، وتفسير الكواكبي وتفسير الرافعي (أمين، 1973م، صفحة 101 وما بعدها) .

ولعلّ التفسير الذي أُستُحكمَ بقوة في العصر الحديث وغدا اتجاهاً جديداً في تفسير القرآن هو التفسير الأدبي، كما يسميه بعضهم، وممّن اشتهروا به السيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن، ومحمد المبارك وأمين الخولي، وعائشة بنت الشاطئ، إذ لا يخفى على النظّار والباحثين المعنيين بهذا التفسير

المحاولات التي بدأتها عائشة بنت الشاطئ مستنيرة بمنهج أستاذها الخولي، الذي رأى بأنّ هذا التفسير« هو أوّل ما يجب أن يحاوله من لهم بالعربية صلة لغوية أدبية، سواء أكانوا عرباً أم غير عرب...وأنّ هذا التفسير ينبغي أن يتناول القرآن موضوعاً موضوعاً لا قطعة قطعة» (الخولي، 1961م، صفحة 308) ، ثم أخذ هذا التفسير أبعاداً أخرى مع ظهور أبحاث فاضل صالح السامرائي، الذي عُنيَ في معظم كتاباته بالقرآن الكريم تدبراً وتبياناً لمعانيه ومفسراً لآيه المحكمات، من هنا بدا لنا أن نبحث عن الملامح التفسيرية والقواعد والآليات التي اعتمدها السامرائي في تفسيره الجديد . وبناءً على ذلك تعيّن علينا أن نجيب عن إشكالات مُفَادُها ما ملامح التفسير البياني عند فاضل السامرائي؟ ما هي أهم الآليات المعتمدة في تفسيره؟ وما هي أهمّ المرجعيات التي استند إليها السامرائي لتفسير القرآن تفسيراً بيانياً؟

تهدُفُ هذه الدراسة إلى بيان ملامح التفسير البيانيّ للقرآن الكريم عند فاضل السامرائي، والكشف عن المرجعيات والقواعد التي اعتمدها فاضل في التفسير البيانيّ، وكذا عرض نماذج من التفسير البيانيّ في آيات بيّنات.

وللوصول إلى هذه الأهداف سعينا إلى إتّباع منهجيّة تقوم على مدخل إلى التفسير البياني، نتعرّف فيه معنى التفسير والتفسير البياني، ثمّ نشير إلى نشأة هذا النوع من التفسير ومسيرته التاريخية، ومن ثمّة نلج إلى استكناه التفسير البيانيّ وآلياته عند فاضل السامرائي، ونختم باستعراض نماذج نمثل بها للتفسير البياني لبعض السور القرآنية، متّبعين المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي .

2. مدخل إلى التفسير البياني للقرآن الكريم:

2،1.مفهوم التفسير:

الفسر في اللغة «البيان فسّرَ الشيءَ يُفَسِّرُهُ...وفَسَّرَهُ أبَانَه، والتفسير مثله...والتفسير كشف المراد عن اللفظ المُشْكَل... » (منظور)

ويقول الراغب الأصفهاني «الفسر إظهار المعنى المعقول » (الأصفهاني، 2009م، صفحة 380)

وفي الاصطلاح «هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها ومطبقها ومقيدها ومجملها ومفسرها » (الزركشي، 1984م، صفحة 148)

ومنهم من أضاف إليها «علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها وهذا الذي منع فيه القول بالرأي» (الزركشي، 1984م، صفحة 148) .

ويتعيّن علينا والحال هذه أن نميّز أيضاً التفسير عن التأويل، بحكم التداخل المفهومي بينهما، إذ هناك من جعل التفسير والتأويل شيئاً واحداً، كأبي عبيدة وطائفة معه (السيوطي، 2012م، صفحة 152)، حيث جاء عن الراغب الأصفهاني أنّ التفسير أعمّ من التأويل؛ فالتفسير أكثر استعماله في الألفاظ، أمّا التأويل فأكثر استعماله في المعاني، كتأويل الرؤيا، وأكثر ما يستعمل التأويل في الكتب الإلهية، أمّا التفسير فيستعمل في غيرها أيضاً، كما يستعمل – أي التفسير – في معاني مفردات الألفاظ. (الزركشي، 1984م، صفحة 149).

2،3_ مفهوم البيان القرآني:

«البيان هو إظهَارُ المقْصُودِ بأَبلَغ لفْظٍ وأَفْصَحِهِ» (ساسي، 2003م، صفحة 127)، وعند الجاحظ «هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي» (الجاحظ، 1998م، صفحة 75)، أمّا البيان في القرآن الكريم «هو الوضوح والكشف والظهور » (ساسي، 2003م، صفحة 172)، وسيلته المثلى هي اللغة بعلومها انطلاقاً من الصوت وصولاً إلى النحو و البلاغة، فما كان به الفهم والإفهام وإيضاح المعنى الخفي في القرآن فذاك هو البيان القرآني.

وقد بيّن فاضل صالح السامرائي في كتابه من أسرار البيان القرآني معنى البيان القرآني، إذ يقول فيه: «فهذا الكتاب يبين طرفاً من أسرار البيان التي لا تنتهي في القرآن، ولا ينقضي منها العجب...ولقد درست في هذا الكتاب طرفاً من الأبنية القرآنية من مصادرَ وصفاتٍ، وطرفاً من المفردات التي تبدو كأنّها مترادفةٌ فوجدت أنّ كلّ اختيار لبناء أو مفردة إنّما اختير اختياراً مقصوداً، ووقع وقعاً فنياً عجيباً» (السامرائي، من أسرار البيان القرآني، 2012م، صفحة 5).

و لفاضل السامرائي كتاب آخر في البيان القرآني، وهو لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ذكر فيه أسراراً تعبيرية ولمسات فنية في القرآن الكريم، قصد به البيان القرآني، وهو كما يراه«ملامح ودلائل تأخذ باليد، وإفادات توضع في الطريق، تدل السالك على أنّ هذا القرآن كلام فني مقصود، وضع وضعاً دقيقاً ونسج نسجاً محكماً فريداً لا يشابهه كلام ولا يرقى إليه حديث » (السامرائي، 1998، صفحة 5).

2،4. نشأة التفسير البياني:

أمّا من الناحية التاريخية فقد أومأت بعض الدراسات الحديثة إلى أنّ عهد الدراسة البيانية بدأ منذ غابر الأزمان، إذ عرفت في حقبة النبوّة والخلافة الراشدة في شكل إشارات بسيطة ساذجة، ثمّ تطورت مع أبي عبيدة معمر بن المثنى(ت208هـ)، وتقدمت قليلاً مع الزمخشري(ت538هـ) في تفسيره الكشّاف، إلى أن ظهرت بشكل جليّ في العصر الحديث مع محمد عبده (ت1323هـ)، واستمرت أكثر مع محمد خلف الله

أحمد، و عبد الله دراز، و أمين الخولي، وعبد الخالق عضيمة، وبخاصة مع أمين الخولي، الذي فتح مجال هاته الدراسة بشكل أوسع حينما ألقى دروسه في التفسير البياني للقرآن الكريم، وسيأتي التفصيل فيه لاحقاً، كما يمكن أن ننوّه بجهود نَظِيرَيْهِ، محمد خلف الله الذي بذل جهداً محموداً في إحياء الدراسات البيانية للقرآن الكريم، وذلك بتوجيه طلابه إلى دراسة النصوص القرآنية في ظل ازدهار علوم النقد والبلاغة وعلم النفس والتربية وعلم الاجتماع، واستثمار هاته العلوم، كما درس هو نفسه آثار عبد القاهر الجرجاني، وحاول أن يحدّد مناحي هذا البياني الكبير، ويوضح نظرته في أسرار الإعجاز ودلائله، كما له دراسة تطبيقية لسورة الرعد كشف من خلالها عن منهجه التجديدي في هذا الحقل، وهي دراسة يتيمة لم يتبعها بدراسة سورة أخرى، والثاني عبد الله دراز الذي توسع أكثر في تشريح دقائق القرآن البيانية (البيومي، 1971م، صفحة 336، 338) .

وأمّا عن الذي فتح باب الاجتهاد في التفسير البيانيّ في العصر الحديث فهو أمين الخولي، حينما اضطلع بإلقاء دروس في التفسير القرآنيّ على طلبته بالجامعة، وقد أوضحت تلميذته المجتهدة عائشة بنت الشاطئ طريقته وضوابطه في التفسير، وتناول النصوص القرآنيّة وأوجزتها في النقاط الآتي ذكرها:

1-فمن حيث التناول الموضوعي وما يراد فهمه من الكتاب، يبدأ بجمع كلّ ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

2-من حيث فهم ما حول النص، فيرتّب الآيات بحسب نزولها لمعرفة الزمان والمكان، ويستأنس بالمرويات في أسباب النزول، من حيث هي قرائن لابست نزول الآية، دون إغفال ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية، وأنّ السبب فيها ليس بمعنى الحكميّة أو العليّة التي لولاها ما نزلت الآية، والخلاف في أسباب النزول يرجع غالباً إلى أنّ الذين عاصروا نزول الآية أو السورة ربطها كلّ منهم بما فهم أو بما توهّم أنّه السبب في نزولها.

3- أمّا من حيث فهم دلالات الألفاظ فَبِعَدِّ العربية هي لغة القرآن، فتلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التي تعطينا حسّ العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسيّة والمجازيّة، ثم يخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كلّ ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كلّه.

4- وأمّا في فهم أسرار التعبير فيحتكم إلى سياق النصّ في الكتاب المحكم، ملتزمين ما يحتمله نصاً وروحاً، ثم يعرض عليه أقوال المفسرين، فيقبل منها ما يقبله النص، ويرفض ما يرفضه من بدع التأويل.

5- أمّا في التوجيه الإعرابيّ والأسرار البيانية فيحتكم إلى الكتاب المبين، حيث تُعرَضُ عليه قواعد النحويين والبلاغيين ولا يعرض عليها، ولا يؤخذ فيه بتأويل لعلماء السلف على صريح نصه وسياقه

لتسوية قواعد الصنعة النحويّة وضوابط علوم البلاغة، لأنّ القرآن هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه وتوثيقه، فلا ينطبق عليه ما ينطبق على النصوص الأخرى من تأويل أو تحريف أو ضرورة (الشاطئ، 1977م، صفحة 10، 11).

ولقد اهتدت بنت الشاطئ إلى أنّ هذا النوع من التفسير هو نمط جديد، لم ينتهجه القدامى من المفسّرين، وأنّ المنهج الذي كان يتبع في درس التفسير إلى نحو قرن من الزمان هو منهج تقليدي أثري لا يتجاوز فهم النص القرآنيّ، وأنّ الذي أصّل لمنهج تفسيريّ جديد هو أمين الخولي، وتلقاه عنه تلامذته، وهو نمط لم ينل بعدُ حظه من الدراسة والاهتمام (الشاطئ، 1977م، صفحة 13، 14) .

ولعلّ من الذين اقتدوا بهذا المنهج وسلكوا طريقه بنت الشاطئ نفسها حينما تصدت لتفسير عدد من سور القرآن الكريم، على هدي أستاذها الخولي، فقد أومأت إلى ما في التفسير الكلاسيكي من أخلال وشوائب، عكرت صفو ما في النص القرآنيّ من أسرار ولطائف بلاغية، وأفسدت ذوق العربية النقي ومزاجها الأصيل « نتيجة تباين أذواق المفسّرين وعقلياتهم وبيئاتهم وأنماط شخصياتهم » (الشاطئ، 1977م، صفحة 16)، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها هؤلاء المفسرون خدمة للقرآن الكريم– على حدّ اعتراف بنت الشاطئ– يبقى هذا العلم من العلوم التي لم تنضج ولم تحترق، مما أفسح المجال لبنت الشاطئ أن تضطلع بمحاولة موفّقة في تفسير سور قرآنية، وبخاصة ما قد وجدته من أقوال وتأويلات واتجاهات رأتها « بعيدة عن روح العربية الأصيلة مجافية نصاً وروحاً لبيان القرآن المحكم» (الشاطئ، 1977م، صفحة 17)، وقد بَيَّنَتْ في خضم ذلك منهجها القويم الذي لا يختلف عن منهج أستاذها الخولي المذكور آنفاً، وهو منهج يختلف عن تفسير القرآن المعروف« سورة سورة ، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه مقتطعاً من سياقه العام في القرآن كلّه، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية» (الشاطئ، 1977م، صفحة 19)، ولقد جاء كتابها التفسير البيانيّ للقرآن الكريم حافلاً بدرر تفسيرية بيانيّة، وهو في جزأين اثنين، تطرقت فيهما لبعض السور القصار بترتيب خاص غير معهود، اعتقد أحد الباحثين أنه ترتيب غير مسوّغ، وهو غير ذلك (بلعمش، المفردة القرآنية في التفسير البياني للقرآن الكريم، 2019م، صفحة 4)، بل سوغت عائشة بنت الشاطئ ذلك بقولها « والأصل في منهج هذا التفسير–كما تلقيته عن أستاذي– هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه...وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة» (الشاطئ، 1977م، صفحة 17)؛ أي أنّها لم تلتزم ترتيب المصحف غالباً سورةً سورةً، بل التزمت السور التي تتألّف من موضوع واحد، وقد قالت في هذا السياق: «واتجه بمحاولتي اليوم إلى تطبيق المنهج في تفسير بعض سور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع، وأكثرها من السور المكيّة حيث العناية بالأصول

الكبرى للدعوة الإسلامية...وقصدت بهذا الاتّجاه إلى توضيح الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير ومنهجنا الاستقرائي، الذي يتناول النص القرآني في جوه الإعجازي» (الشاطئ، 1977م، صفحة 18)

أَلِقَائِلِ بعد هذا أنْ يقولَ إنّها لم تلتزم منهجاً في تفسيرها، أم لم تسوغ ترتيبها حتّى وإنْ خالف ترتيب المصحف الشريف؟ على أنّها راعت في ترتيبها أحياناً ترتيب النزول تارة وترتيب المصحف تارة أخرى، ما يدفعنا إلى أن نتساءل هل اتّبع من جاء بعدهما –ونقصد عائشة بنت الشاطئ وأستاذها الخولي– هذا المنهج ذاته في التفسير البيانيّ كفاضل السامرائي، أم أنّه خالفهما؟ هذا ما سنجتهد في إظهاره في ما يأتي من فقرات هذا البحث.

3، التفسير البياني عند فاضل السامرائي آلياته وقواعده:

لقد بادر فاضل السامرائي بتأليف سلسلته القرآنية المتميزة، وقد مَنّ الله عليه بحفظ القرآن الكريم فألّف كتابه التعبير القرآني، ويبدو أنّه أوّل ما ألّف من هذه السلسلة، بحث فيه طرق التعبير القرآني، ووازن فيه السامرائي بين الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، فراعه ما وجده من دقّة في التعبير وإحكام في الفنّ وعلو في الصنعة، فوجد تعبيراً فنياً مقصوداً، كما شمل دراسة فواصل الآيات، وختمه بالإشارة إلى مواضع الحشد الفني في بعض السور، وهو عدم ذكر القصة القرآنية على صورة واحدة، بل نراه يوجز في موطن ويحذف في موطن آخر، ويقدم في موضع ويؤخر في موضع آخر وهكذا

ثمّ ألّف بعد ذلك كتابه لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، جعله «خطوة أخرى بعد كتاب التعبير القرآني»، و كلاهما –أي التعبير القرآني ولمسات بيانية– كتابان يعنيان بأسرار التعبير القرآنيّ واللمسات الفنيّة لهذا التعبير الإلهي الرباني، وقد نفى فاضل السامرائي أن يكون الكتابان في الإعجاز القرآني وأصرّ على كونهما كتابين يُوصِلَانِ «السالك إلى طريق الإعجاز أو شيء من الإعجاز» (السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 1998م، صفحة 5)، لأنّ الإعجاز حسب قوله متعدد النواحي، ومتشعّب و لا يستطيع أن يتكفّل به عالم واحد أو جماعة في وقت واحد، وإنّ التعبير الواحد قد نرى فيه إعجازاً لغوياً وإعجازاً تاريخياً وإعجازاً نفسياً وهلم جراً.

وألّف كتابه "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني"، وهو أصغر كتبه تقريباً إذا استثنينا محاضراته المطبوعة ويبحث كتابه هذا في مفردات وكلمات القرآن الكريم، وما يطرأ عليها من تغير وتبدّل وحذف وإدغام وغيرها، وهو باب لم يوله العلماء والباحثون أهمية تذكر، الأمر الذي دفع السامرائي إلى كشفه، ذلك أنّ مفردات القرآن وضعت وضعاً دقيقاً مقصوداً لا يجوز أن تزحلق عن مكانها.

وألّف كتابه "**على طريق التفسير البياني**" محلّ دراستنا في أربعة أجزاء، فسّر في الجزء الأوّل عشر

سور، لم يراع فيها ترتيب السور في المصحف إلاّ قليلاً، ولم يفسّر القرآن كلّه، فقد تطرّق في الجزء الثاني إلى تفسير سورة يس وسورة لقمان، وفي الجزء الثالث فسّر سورة هود فقط، وفي الرابع فسّر سورة الأنبياء فقط، وقد تتلو هاته الأجزاء أجزاء أخرى في المستقبل، تتضمن سوراً أخر.

وسمّاه على طريق التفسير البياني، ولم يسمه التفسير البيانيّ، إذ نفى أنْ يكون هذا الكتاب في التفسير البيانيّ، وجعله خطوة أو خطى على طريق التفسير البياني، وربما الذي كان يدفع السامرائي إلى هذا التواضع في تسمية كتبه تواضعه في نفسه وزهده العلمي، فكان ينأى بتسمياته تلك عن الإعجاز والتفسير، ولا يعدّ نفسه ممن يتصدون إلى هذين العلمين، ولا نكون مبالغين إنْ قلنا لو أنّ السامرائي سمّى كتابه هذا "التفسير البياني" ربما لكان أدق، وبخاصة حينما يبيّن السامرائي معنى التفسير البياني فقال:«هو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التغيير» (السامرائي، على طريق التفسير البياني، 2017م، صفحة 7)، فلا غرو أنّ كتابه هذا يصحّ أن يكون تفسيراً بيانياً بحقّ.

3،1ـ آليات التفسير البياني وقواعده:

استند السامرائي في تفسيره هذا على آليات و قواعد مكنته من التصدي لهذا النوع من التفسير، بعد تزوده بما يحتاجه المفسر بشكل عام، و منها (السامرائي، على طريق التفسير البياني، 2017م، الصفحات 7-16) :

1- أن يتبحّر في علم اللغة وفي علم التصريف وفي علم النحو والبلاغة، ويكون على اطّلاع واسع بها؛ لأنّها من ألزم الأمور للمفسر بعامة، وللمفسر البياني بصفة أخص، إذ إنّ الجهل بهاته العلوم قد تؤدي إلى التيه والضلال، ولا تكفي المعرفة اليسيرة، بل على المفسّر البيانيّ أن يتفقه في دقائق اللغة وما تؤديه التقديرات المختلفة إلى اختلاف في المعاني، وعليه أيضاً أن يتمكّن من معرفة الفصاحة وأغراض الكلام والفصل والوصل، وأغراض التقديم والتأخير، والحقيقة والمجاز.

2- وبالإضافة إلى التبحّر في علوم اللغة ينبغي للمفسر البياني أن يكون ذا مكنة من القراءات، الدالة أحياناً على رجحان بعض الوجوه على بعض، ومن ذلك قراءة ﴿ مَالِكِ يَومِ الدِينِ﴾ وقراءة ﴿ مَلِكِ يَومِ الدِينِ﴾، فقد جمع له بالقراءتين الحكم والتملّك؛ لأنّ (مالك) من التملك، و(الملك) هو الحاكم الأعلى، فجمعت القراءتان المعنيين معاً.

3- كما ينبغي له معرفة أسباب النزول كما سبق البيان آنفاً؛ لأنّ العلم بالنزول يغني عن اللبس الذي قد يحيط بالمعنى المراد، وممّا يروى أنّ «عروة بن الزبير قد فهم من قوله تعالى: ﴿ فلا جناح عليه أن يطوّف بهما﴾[البقرة /157] أنّ السعي ليس بركن فردت عليه عائشة ذلك وقالت: لو كان كما قلت لقال (فلا جناح عليه ألاّ يطوف بهما)، وثبت أنّه إنّما أتى بهذه الصيغة لأنّه كان وقع فزع في قلوب طائفة من الناس كانوا يطوفون قبل ذلك بين الصفا والمروة للأصنام، فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به، فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم وأمرهم بالطواف...فثبت أنها نزلت رداً على من كان يمتنع من السعي »

4- النظر في السياق، فهو الذي يحدّد سبب اختيار لفظة عن أخرى، وتقديم لفظ عن آخر، وهو مما يتوجّب على المفسّر والمفسّر البياني مراعاته؛ لأنّه من أهمّ القرائن التي تكشف المعنى، وإنّ إغفاله يجرّ إلى الخطأ والغلط .

5- مراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها أمثال التعبير الذي يراد تبيينه ليستخلص المعنى المقصود وهي لا شك توجد في مواضع متعدّدة من آي القرآن الكريم.

6- مراجعة المواطن التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها.

7- أن يكون المفسّر على علم بخصوصيات الاستعمال القرآنيّ، كاستعمال الريح للشر والرياح للخير والغيث للخير والمطر للشر، والعيون لعيون الماء، والصوم للصمت، والصيام للعبادة المعروفة وهكذا.

8- أن ينظر في الوقف والابتداء وأثر ذلك في الدلالة والتوسّع في المعنى أو التقيّد فيه.

9- أن يسترعي نظره أيّ تغيير في المفردة والعبارة، ولا يحقرنّ شيئاً كالإبدال في المفردة نحو (يطّهّر) و(يتطهّر) والذكر والحذف، نحو: (تذّكرون وتتذكرون)، وتغيير الصيغة من مغفرة وغفران، وعداوة وعدوان ونخل ونخيل، والإدغام والفك وغير ذلك.

10-إدامة التأمّل والتدبّر في آيات الله بغية الاهتداء إلى المعاني العالية والأسرار الخفية.

11-الاطّلاع على ما كتبه المفسّرون، وما جاء في أمّات كتب علوم القرآن وكتب الإعجاز، والمتشابه وغيرها مما يدخل في هذا المجال.

12-الموهبة والملكة التي يمتلكها المفسّر في هذه الصنعة وصقلها بكثرة الاطّلاع والاجتهاد.

من هنا يتّضح أنّه على المفسّر البيانيّ أن يسلك منهجاً خاصاً مبنياً على معارف علمية لعلوم دينية ولغوية، ونظر ثاقب يوجّه من خلاله آراءه التفسيرية، وقواعد أخرى تنبني على خصوصيات وسمات النص القرآنيّ نفسه التي ينبغي للمفسّر أن يعيها، وهو أمر ليس باليسير إلاّ من يسّر الله عليه، إضافة إلى اطّلاعه على ما أفاده المفسّرون القدامى، لذلك فالتفسير البيانيّ لا يستغني عن التفسير الكلاسيكيّ

العام، على أنّ أهمّ آلية من آليات التفسير البيانيّ التي وظّفها السامرائيّ في كتابه هذا، وفي العديد من كتبه البيانية آلية المقارنة بين المتشابه اللفظي، إذ قد انتهج في ذلك طرقاً عدّة في توضيح هذا الأمر، سواء بين الآيات القرآنية نفسها، أم بينها وبين التراكيب الفصيحة الأخرى، وذلك من خلال تتبع أوجه التشابه والاختلاف بين الآيات في سياقات متعدّدة، وفي مواضع مختلفة من سور القرآن، وهو ما يسميه السامرائيّ بالحشد الفني، وهي ظاهرة بيانية اعتمد عليها فاضل السامرائي كثيراً في كتبه.

وهذا ما يسوّغ عدم الاكتراث بالترتيب التوقيفي للسور القرآنية، وهو ما لمحناه آنفاً لدى المفسّرة البيانية عائشة بنت الشاطئ وأستاذها أمين الخولي، إذ نلفيهما جميعاً يعتمدون التفسير البياني الموضوعي. ولا ضير أن نمثل له بمثال يتّضح به المقال، فقد قارن بين آيتين إحداهما من سورة الذاريات والأخرى من سورة الحجر، وتتحدث الآيتان عن قصّة سيدنا إبراهيم لما زارته الملائكة، يقول عزّ مِن قائل:﴿**هلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيفِ إبرَاهِيم المُكرَمِين إذْ دَخَلُوا عَلَيه فَقَالُوا سَلَاماً قَال سَلَامٌ قَومٌ مُنكَرُون فَرَاغَ إلَى أَهلِهِ فَجَاءَ بِعِجلٍ سَمِينٍ**﴾[الذاريات /24]، فذكر أنّهم حيوه فردّ عليهم التحيّة، وأنّه جاءهم بعجل سمين، وقال في سورة الحجر: ﴿**ونَبِئهم عَنْ ضَيفِ إبرَاهيمَ إذْ دَخَلُوا عَلَيهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ إنَّا مِنكُم وَجِلُونَ**﴾[الحجر/51، 52] فذكر هنا أنّهم حيوه ولكنه لم يذكر أنّه ردّ التحية، ولم يذكر كذلك أنّه أتاهم بعجل سمين، فما حقيقة الأمر؟ يقول فاضل السامرائي: إنّ القرآن قد « ذكر في كلّ موطن ما يقتضيه السياق والغرض من ذكر القصة، وقد تقول: ولكنّه قال في الذاريات أنّه ردّ عليهم السلام، وفي الحجر لم يرد السلام. فنقول ليس الأمر كما توهمت، فإنّه لم يقل في الحجر إنّهم حيوه فلم يرد عليهم السلام، ولو قال ذلك لكان تناقضاً.وإنما قال: ﴿فقالوا سلاما﴾، فذكر تحيتهم ولم يذكر تحيته كما لم يذكر أنه جاء لهم بالعجل،ولم يقل إنه لم يقدم لهم شيئا فطوى ذكر قسم من الأحداث بحسب المقام، وذلك أنّه لما وصف الضيف في الذاريات بأنّهم مكرمون ناسب ذكر ما أكرمهم به إبراهيم من ردّ التحية بخير منها ومن تقديم العجل المشوي. ولمّا لم يصفهم في الحجر بذلك طوى ذكر مظاهر التكريم والاحتفاء، وهذا نظير ما نرويه نحن من أحداث، فقد تقع لنا أحداث متعدّدة في رحلة ذكر في كل مناسبة طرفاً منها بل ربما نرويها بألفاظ مختلفة لكنّها غير متناقضة بحسب الموقف والمقام » (السامرائي، على طريق التفسير البياني، 2017م، صفحة 19، 20)

ويجدر التنبيه هاهنا إلى نهج المؤلّف في تفسيره البيانيّ، الذي يقوم على المنهج العملي التطبيقي دون ذكر توطئة نظرية للتفسير البيانيّ أو رصد سمات التعبير القرآنيّ، وهذا إن دلّ على أمر فإنّه يدل على أنّ السامرائي كان «مشدوداً بقوة نحو الغرض المقصدي الذي كان يحركه في دراسته وتفسيره» (بلعمش، الدراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل السامرائي سمات ومرتكزات، صفحة 183)، وهو إظهار انبهاره

هو نفسه بنصّ القرآن الكريم وما اكتشفه من درر ولآلئ بيانية، لذا كان شديد الاعتذار عمّا قد يطرأ من سهو أو نسيان، أو إغفال أشياء، أو الوقوع في الخطأ، ولم يكن همه الرد على من سبقه في هذا المجال بقدر ما كان يود إثبات الأوجه البيانية و الإعجازية للقرآن الكريم، الأمر الذي صرفه للاهتمام بالتطبيق وإغفاله للجانب النظري.

من هنا نلحظ بوضوح أهمّ ملامح التفسير البياني عند السامرائي، التي لا تختلف كثيراً عمّن سبقوه من علماء هذه الصناعة وروادها في العصر الحديث، وبخاصة الخولي وعائشة بنت الشاطئ، إذ اتفقوا كلّهم في المنهج العام القائم على المرتكزات الأساسية المذكورة لهذا التفسير، على الرغم من اختلافه عنهما في بعض الخصائص التي ذكرها السامرائي، التي يحسن بنا ذكر خاصيّة واحدة لنتلمس الملامح الدقيقة للتفسير البياني عند السامرائي، فقد ألمع إلى الترابط بين سور القرآن كلّها، وهو ما يطلق عليه أحياناً اصطلاح "الحشد الفني" ، يقول في ذلك: «وليست الآيات أو السياقات التي سنختارها وحدها موضع الحشد بل إنّ القرآن كله حشد فني عظيم متكامل» (السامرائي، التعبير القرآني، 2004م، صفحة 252).

والحق أنّنا ألفينا فاضلاً السامرائي يؤكد على ذلك في أكثر من كتاب، ففي كتابه "التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم" ينصّ على وحدة القرآن وتكامله من حيث ترتيب سوره، وترتيب آياته في السورة الواحدة، فضلاً عن المناسبة بين مفتتح السورة وخاتمتها، وبين نهاية السورة وبداية السورة التي تليها ويجعل القرآن –والحالة هاته– آية واحدة، أو كما قال الفخر الرازي مؤكداً: «إنّ القرآن كلّه كالكلمة الواحدة» (السامرائي، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، 2016م، صفحة 8) .

أمّا إذا عجنا على ما قاله الخولي قبله – وقد ألمحنا إليه آنفاً– نجده يذهب في ذلك مذهباً مغايراً في المبدأ، وربما يتفق معه في الغاية، فالخولي ينفي توافق ترتيب القرآن، مع بلوغ الغاية من التفسير البياني بل يجعل ترتيب المصحف الشريف عائقاً أمام المفسّر البياني، يقول في هذا السياق: «والقرآن كما هو المعروف لم يرتب على الموضوعات والمسائل فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة...فيبدو للناظر أنّ تفسيره سوراً وأجزاء لا يمكّن من الفهم الدقيق والإدراك الصحيح لمعانيه وأغراضه، إلاّ إنْ وقف المفسّر عند الموضوع يستكمله في القرآن ويستقصيه إحصاء فيرد أوّله إلى آخره، ويفهم لاحقه بسابقه » (الخولي، 1961م، صفحة 305)، ويخلص الخولي في الأخير إلى أنّ« ترتيب القرآن في المصحف قد ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقاً وقد ترك الترتيب الزمني لظهور الآيات لم يحتفظ به أبداً، وقد فرّق الحديث عن الشيء الواحد والموضوع الواحد في سياقات متعددة ومقامات مختلفة ظهرت في ظروف مختلفة. وذلك كلّه يقضي في وضوح بأن يفسّر القرآن موضوعاً موضوعاً، وأن تجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصياً، ويعرف ترتيبها الزمني

ومناسباتها وملابساتها الحافة بها ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم... » (الخولي، 1961م، صفحة 306)، على أنّنا نلحظ من خلال قوله ههنا خلافاً لما نقلته عنه تلميذته بنت الشاطئ؛ لأنّها كانت تفسّر القرآن أحياناً سورةً سورةً، وتلجأ إلى تفسيره بحسب النزول في أحايين أخرى.

ونستشف أيضاً من النصّ أنّ الخولي يحاول أنْ ينفي عدم التناسب بين السور بعضها ببعض، وبين الآيات في السورة الواحدة، حيث ينفي وحدة الموضوع في السورة الواحدة، متأثراً بمنهج دراسة النصوص الأخرى وما سنّه النقاد في تحليل النصوص، وهنا يختلف عن نظرة السامرائي، ولكن سرعان ما نجد الخولي يستدرك ما قاله، ويتحفّظ في إطلاق رأيه ذاك بقوله: « ثم إنْ كانت للمفسّر نظرة في وحدة السورة وتناسب آيها واطراد سياقها فلعل ذلك إنّما يكون بعد التفسير المستوفي للموضوعات المختلفة فيها». (الخولي، 1961م، صفحة 307) .

نخلص في الأخير إلى أنّ السامرائي قد تطرّق للأمرين معاً؛ ففسّر السور بحسب تناسب السور والآيات لترتيب المصحف، كما فسّره بحسب المتشابهات في السور المختلفة بمراعاة السياق، ولم يفضل أمراً على آخر؛ لأنّ القرآن كما قيل: إنّما يفسّر بعضه بعضاً .

4. نماذج من التفسير البياني في آيات بيّنات:

نبتغي هنا عرض نماذج من تفسير فاضل البياني للقرآن الكريم، بعدما انتهينا إلى حقيقة مُفادُها أنّ للسامرائي منهجاً دقيقاً في التفسير البياني، وملامح واضحة ادّعاها وانتهجها، واحتج لها بشواهد داحضة ستسعفنا هاته الفقرة لإجلائها أكثر، عسى أن نؤكّد صحّة الفرضيات التي افترضناها آنفاً، لذا فالغاية من هاته الفقرة هي الاستدلال على ما سردناه من قواعد ومناهج، امتاز بها التفسير البيانيّ لدى فاضل السامرائي.

لقد سبق بيان أنّ كتاب "على طريق التفسير البياني" في أجزائه الأربعة قد تضمن سوراً من القرآن الكريم، ولم يلتزم ترتيب المصحف إلاّ قليلاً، ولعلّ السامرائي– إنْ أطال الله في عُمُرِهِ – سيضيف أجزاء أُخر لكتابه ليفسر سوراً أخرى، ولم يسوّغ السامرائي سبب اختيار هاته السور، إذ يكتفي أحياناً بسورة واحدة في الجزء الواحد، كما في الجزأين الثالث والرابع، وهو كما بيّنا منهج لا يختلف كثيراً عن مَنهَجَيْ الخولي وبنت الشاطئ، ويبدأ كتابه بتفسير سورتَيْ الفلق والناس بهذا الترتيب، فيبدأ بعرض المعنى العام للسورتين معاً فبيّن أنّهما تضمنتا الاستعاذة من الشرور كلّها، فالفلق تضمنت الاستعاذة من الشرّ الذي هو ظلم

الغير له بالسحر والحسد، وهو شرّ من خارج. وتضمنت سورة الناس الاستعادة من الشرّ الذي هو سبب ظلم العبد نفسه، وهو شرّ من الداخل، ثم يشرع في تفسير الآيات من حيث اللغة، ويستعين في كشف المعاني من مصادر التفسير القديمة، كتفسير البحر المحيط لأبي حيّان، والتفسير القيّم لابن القيّم وأنوار التنزيل للبيضاوي، والتفسير الكبير للرازي، كما يستعين بالمعاجم العربية أيضاً، ويلجأ كدأبه في كلّ مرّة إلى السؤال فيقول مثلاً : لماذا أمر الله رسوله بقوله قُلْ أعوذ ولم يقلْ: أعوذ بربّ الفلق مباشرة، ويسوغ السامرائي ذلك من حيث إنّ الله يريد من الإنسان أن يعلن صراحة عن ضعفه وحاجته إلى ربه...كما أنّ فيه قتلاً للكبر والعجب والغرور والشعور بالاستغناء. ويستطرد مفسراً ذلك بتتبع واستقراء أغلب المواضع القرآنية التي ورد فيها تركيب الاستعاذة ويقارن بينها، كما نلفيه يربط دائماً بين المعاني اللغوية وسبب اختيار اللفظ في الآية كقوله: « واختار لفظ الفلق على الصبح لأكثر من سبب ذلك أنّ لفظ الفلق مشعر بالتغير والحركة لأنّ معناه انشقاق ضوء الصبح عن ظلمة الليل، وأنّ الانفلاق و الفلق يدل على التغير والحركة ...بخلاف كلمة الصبح فإنّها لا تفيد ذلك»، ومن ناحية أخرى فإنّ لفظ الفلق أعمّ من لفظ الصبح، وأنّ لها أكثر من معنى، فقد تكون المعاني كلّها مرادة (السامرائي، على طريق التفسير البياني، 2017م، صفحة 38)، وهكذا بالنسبة للفظ الربّ في قوله:﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ**﴾[الفلق/1] حيث تكون أنسب من حيث السياق؛ لأنّ الربّ معناه المالك والمربي والسيد والقيم والمعلم والمرشد، فناسبت الاستعادة هنا.

وأمّا اختياره للغاسق في قوله: ﴿**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾[الفلق/3] نجد السامرائي يتساءل لِمَ لَمْ يقل:(من شر الليل إذا دخل)، ثم يسوّغ ذلك من أوجه فيقول: إنّ الغاسق فيه عموم، فهو يشمل الليل وغيره، ولا يخص الليل وحده، فمن معانيه أيضاً القمر و الحية إذا لدغت وغير ذلك، لذا كان ذكره أولى من الليل، فتكون الاستعادة من شرور ما هو أعمّ ويدخل فيه الليل أيضاً، وإنّ له في تفسير النفّاثات ملمحاً عظيماً ولمسةً بديعة، فبعد تعيين معنى النفّاثات التي هي النفوس الخبيثة والأرواح الشريرة وقيل الجامعات من النساء السواحر، ينص على أنّه جاء بالصفة بدل الموصوف، إذ لم يقل: (النساء النفاثات) لإرادة العموم وعدم تقييد ذلك بقيد، سواء صدر عن النساء أم عن غيرهن، وجاء بجمع الإناث ولم يأت بجمع الذكور فلم يقل : (النفاثين) وذلك لإرادة العموم أيضاً، فإنّ النفاثات تشمل الإناث وتشمل الأرواح

والنفوس والجماعات، كما تعمّ نفوس الذكور والإناث وغيرهم ممن يفعل هذا الفعل، ولو قال النفاثين لم يشمل إلاّ الذكور، ولم يعم شرور غيرهم .

أمّا في سورة الناس فقد كانت الاستعادة بثلاث صفات من صفات الله تعالى، وهي الرب والملك والإله في قوله تعالى: ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس**﴾[الناس/1]، حيث استعاذ هنا بثلاث صفات « من شرّ واحد، وهو شر الوسواس الخنّاس في حين استعاذ بصفة واحدة وهي الرب في السورة السابقة من شرور متعددة مجملة ومفصلة، ذلك أنّ هذا الشر أخطر على الفرد والمجتمع من تلك الشرور فإنّ شر الوسواس يعود على الفرد الذي تلقى الوسوسة وعلى الآخرين، فيقع تحت طائلة الحساب والعقاب في الدنيا والآخرة » (السامرائي، على طريق التفسير البياني، 2017م، صفحة 55) .

ويستنجد السامرائي في تفسيره كما سبق البيان بالاحتكام إلى قواعد اللغة والنحو، وسنن العرب في كلامها، فتراه يقلّبُ التركيب ويقدم الاحتمالات الواردة للتعبير القرآني، ثم يحكم ويقضي بالاستناد إلى قواعد النحو واللغة، من ذلك تفسيره لسورة الإخلاص بعد المعوذتين، وبخاصة تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾[الإخلاص/4]، فبعد تحديد الكفو وهو النظير والمثل أي نفي النظير والمثل لله تعالى يفسّر سبب تقديم الجار والمجرور(له)، إذ الأصل أن يقول: (ولم يكن أحد كفواً له)، فيقول إنّه « قدم الجار والمجرور لأهميته لأنّ المطلوب نفي النظير عنه بالذات؛ لأنّ الكلام إنّما هو عليه، فقدّم ما عليه مدار الكلام وهو الله، والضمير إنّما يعود عليه، ثمّ قدّم الكفو لأنّ المراد نفيه وأَخَّرَ (أحد)، فكان ترتيب الكلام على ما يقتضيه المعنى، ولو قال: (لم يكن أحد كفوا له) لكانت الأهمية تنصبّ على (أحد) ». (السامرائي، على طريق التفسير البياني، 2017م، صفحة 90)

وثمّة ملحظ آخر يجدر التمثيل له، بعدما احتججنا له آنفاً، يتّصل بالتناسب بين السور والآيات بعضها ببعض في البدايات والخواتيم، ففي تفسيره لسورة هود في الجزء الثالث يذكر أنّ السورة قبلها ويقصد سورة يونس بدأت بقوله تعالى: ﴿ **الر تِلكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ**﴾[يونس/1] فوصف الكتاب بأنّه حكيم، وذكر في سورة هود مَنْ أَحْكَمَهُ فقال تعالى في هود: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[هود/1] ، وقال في بداية سورة يوسف وهي بعد هود : ﴿ **الر تِلكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ**﴾**[يوسف/1]**، فلمّا« ذكر في سورة هود أنّ آياته أحكمت وفصلت دلّ ذلك على أنّه مبين، فإنّه لا

يكون بعد الإحكام والتفصيل إلاّ مبيناً فأيّ كتاب أحكم وفصل كان مبيناً فتناسبت بدايات السور المتتابعة تناسبا بديعاً» (السامرائي، على طريق التفسير البياني، 2017م، صفحة 5)

وواضح أنّ هناك تناسباً أيضاً بين خاتمة سورة يونس وبداية سورة هود، فقد ختمت سورة يونس بقوله تعالى: ﴿**وهُوَ خَيرُ الحَاكِمِينَ**﴾، وجاء في بداية هود أنّ الكتاب أحكمت آياته، فخير الحاكمين هو الذي أحكم آياته، كما ناسب قوله: ﴿**خَيرُ الحَاكِمِينَ**﴾ في يونس قوله تعالى في سورة هود: ﴿**مِنْ لَدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾.

نخلص ممّا تقدّم بيانه أنّ هناك ترابطاً بين مفتتح السور وخواتيمها، ممّا ينمّ عن ترابط وثيق الصلة بين سور القرآن، وأنّ ترتيبه الوقفي في المصحف الشريف جعل السور تبدو كالسورة الواحدة، وهذا غير ما رأيناه في تفسير الخولي وما أشارت إليه بنت الشاطئ قبل السامرائي، وإنّ للسامرائي كتاباً كاملاً في إثبات هذا الأمر، سماه "التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم"، أظهر فيه الترابط والتناسب بين سور القرآن كلّها وبين مفتتح السورة الواحدة وخاتمتها.

5، **خاتمة**:

إنّه وانطلاقًا من التصوّرات العلمية النظرية التي سردناها ووقفنا على حقائقها ودواعيها، على حسب ما توفر لدينا من استدلالات وبراهين، نقف على جملة من النتائج التي أفرزتها هاته الدراسة ومنها:

*إنّ علم التفسير القرآني شهد أنواعاً عدّة من التفسيرات، بدءاً من القرن الثاني الهجري كالتفسير بالمأثور والتفسير بالرأي عند الفخر الرازي والبيضاوي وأبي حيان الأندلسي، و التفسير الصوفي أو الرمزي الذي يفسر القرآن بالاعتماد على الفيوضات أو الإلهامات، والتفسير الفلسفي عند الغزالي، والتفسير الفقهي كتفسير ابن العربي والقطبي كذلك، و التفسير العلمي عند الإمام الغزالي في الإحياء وتفسير الكواكبي وتفسير الرافعي.

* بيّن البحث أنّ التفسير البيانيّ ظهر مُذْ عهد النبوّة والخلافة الراشدة في إشارات ساذجة، وامتدّ حتّى القرن السادس الهجريّ عند الزمخشري في تفسيره الكشاف.

*توصّل البحث إلى أنّ التفسير الذي استحكم في العصر الحديث هو التفسير الأدبيّ كما يسميه بعضهم، أو التفسير البياني ، وممن اشتهروا به السيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن ، ومحمد المبارك

أمين الخولي، وعائشة بنت الشاطئ، وتبعهم بعد ذلك فاضل السامرائي.

*توصّل البحث إلى أنّ أوّل عهد للتفسير الأدبيّ عند اللغويين والنحاة، الذي يعنى بتفسير القرآن موضوعاً موضوعاً لا آيةً آيةً ظهر مع أمين الخولي وتلميذته عائشة بنت الشاطئ في القرن العشرين.

* عرف القرن العشرين منهجاً جديداً في تفسير القرآن، اعتمده أمين الخولي وتبعته فيه بنت الشاطئ وهو منهج يقوم على التفسير الوضوعيّ بدل التفسير الكلاسيكيّ سورةً سورةً ، الذي يؤخذ اللفظ أو الآية فيه مقتطعاً من سياقه العام في القرآن كلّه، ممّا لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه.

*لا يُلْتَزَمُ في التفسير البيانيّ في القرن العشرين بالترتيب التوقيفيّ للقرآن الكريم كما دأب عليه المفسّرون الكلاسيكيون.

*يعدّ فاضل السامرائي من أبرز مفسري القرآن تفسيراً بيانياً في النصف الثاني من القرن العشرين معتمداً على آليات وقواعد مختلفة مستفيداً من التفسير الكلاسيكيّ القديم والمنهج البيانيّ الأدبيّ الجديد.

*يعدّ كتاب على طريق التفسير البيانيّ لفاضل السامرائي كتاب تفسير للقرآن الكريم، يعتمد على المنهج التفسيري الحديث بحسب الموضوع، ووفق السياق المحدّد الذي أرسى دعائمه بوضوح أمين الخولي وبنت الشاطئ.

* استند السامرائي في تفسيره على آليات و قواعد مكنته من التصدّي لهذا النوع من التفسير، بعد تزوده بما يحتاجه المفسّر بشكل عام، منها تبحّره في علوم اللغة وعلوم القرآن، إضافة إلى اطّلاعه على ما أفاده المفسّرون القدامى، ثم الموهبة والملكة اللازمة.

* اعتمد السامرائي على آلية المقارنة بين المتشابه اللفظي، وذلك من خلال تتبّع أوجه التشابه والاختلاف بين الآيات في سياقات متعدّدة وفي مواضع مختلفة من سور القرآن، وهو مايسميها بالحشد الفني، وهي ظاهرة بيانية اعتمد عليها كثيراً في كتبه.

*يختلف السامرائي عن الخولي في أنّه يؤمن بالترابط بين سور القرآن كلّها، وهو ما يطلق عليه أحياناً اصطلاح "الحشد الفني"، ويثبت التناسب بين مفتتح السور وخواتيمها، بينما نجد الخولي يحاول أنْ ينفي

عدم التناسب بين السور بعضها ببعض، وبين الآيات في السورة الواحدة، حيث ينفي وحدة الموضوع في السورة الواحدة، متأثراً بمنهج دراسة النصوص الأخرى، وما سنّه النقاد في تحليل النصوص.

*يختلف السامرائي عن غيره في أنّه فسّر القرآن تفسيراً بيانياً، يقوم على طريقتين مختلفتين، ففسّر السور بحسب تناسب السور والآيات لترتيب المصحف، كما فسّره بحسب المتشابهات في السور المختلفة بمراعاة السياق، ولم يفضل أمراً على آخر؛ لأنّ القرآن كما قيل: إنّما يفسّر بعضه بعضاً .

6.قائمة المراجع:

1. الأصفهاني ,ا(2009) .المفردات في غريب القرآن .بيروت :دار المعرفة.
2. البيومي ,م .ر(1971) .خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم .مصر :مجمع البحوث الإسلامية.
3. الجاحظ) (1998) .البيان والتبيين القاهرة :مكتبة الخانجي.
4. الخولي ,أ(1961) .مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب .بيروت :دار المعرفة.
5. الزركشي ,ب .ا(1984) .البرهان في علوم القرآن .القاهرة :دار التراث.
6. السامرائي ,ف(2004) .التعبير القرآني .الأردن :دار عمار.
7. السامرائي ,ف(2016) .التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم .بيروت :دار ابن كثير.
8. السامرائي ,ف(2017) .على طريق التفسير البياني .بيروت :دار ابن كثير.
9. السامرائي ,ف .لمسات بيانية في نصوص من التنزيل .الأردن :دار عمار.
10. السامرائي ,ف .(1998) .لمسات بيانية في نصوص من التنزيل .الأردن :دار عمار.
11. السامرائي ,ف(1998) .لمسات بيانية في نصوص من التنزيل .الأردن :دار عمار.
12. السامرائي ,ف(2012) .من أسرار البيان القرآني .الأردن :دار الفكر.
13. السيوطي ,ج .ا(2012) .الاتقان في علوم القرآن .القاهرة :دار الغد الجديد.
14. الشاطئ ,ع .ب(1977) .التفسير البياني للقرآن الكريم .القاهرة :دار المعارف.
15. أمين ,ب .ش 1973) .التعبير الفني في القرآن .بيروت :دار الشروق.
16. بلعمش ,ا .الدراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل السامرائي سمات ومرتكزات.183 .

17. بلعمش ,ا(2019) .المفردة القرآنية في التفسير البياني للقرآن الكريم .مجلة المعيار ,(45) 23 , 4.

18. ساسي ,ع(2003) .الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية للإعجاز البياني في الآيات المحكمات .البليدة :دار المعارف.

19. منظور ,ا .لسان العرب.بيروت .دار صادر.